مجلة تسليم
Journal Homepage: https://tasleem.alameedcenter.iq
ISSN: 2413-9173 (Print) ISSN 2521-3954 (Online)

الاتِّسَاقُ النَّحْوِيُّ فِي المَقُوْلَاتِ الحَسَنِيَّةِ دِرَاسَةٌ نَصِّيَّةٌ تَحْلِيْلِيَّةٌ

مُحَمَّد حسين مهاوي[1]

كُلِّيَّة الإمام الكاظم عليه السلام للعلوم الإسلاميَّة الجامعة/ قسم اللُّغة العربيَّة، العراق؛

mohammed.alwadh@alkadhum-col.edu.iq

دكتوراه في اللُّغة العربيَّة / أستاذ

تاريخ التسلّم	تاريخ القبول	تاريخ النشر
٢٠٢٥/٢/٨	٢٠٢٥/٣/١٢	٢٠٢٥/٣/٣١

المجلــد (٢١) العــدد (٣٣)
رَمَضَان ١٤٤٦هـ . آذار ٢٠٢٥ م

DOI:
10.55568/t.v21i33.99-118

CC BY NC

مُلَخَّصُ البحْث:

إن البحث الموسوم بـ(الاتساق النحوي في المقولات الحسنية دراسة نصية تحليلية) للأستاذ الدكتور (محمد حسين مهاوي) يستهدف تحليل نماذج من مقولات الإمام الحسن عليه السلام والمصنفة على نحو أحاديث وخطب نثرية تمثل جانبا من التراث اللغوي الغني بالأساليب البلاغية والفنية، وهي دراسة من منظور التماسك النصي ووسائله اللغوية، لإبراز أهم السمات النصية التي انماز بها أسلوب هذا الإمام، والكشف عن القيم النحوية في تلك المقولات.

الكلمات المفتاحيَّة: (الاتساق النحوي- المقولات الحسنية- التماسك النصي)

Grammatical Cohesion in Imam Hasan Sayings: A Textual and Analytical Study

Muhammed Hussain Mahawi [1]

1 Imam Al-Kadhim(AS) College for Islamic Sciences / Department of Arabic, Iraq;

mohammed.alwadh@alkadhum-col.edu.iq

PhD. in Arabic Language/ Professor

Received:	Accepted:	Published:
8/2/2025	12/3/2025	31/3/2025

DOI: 10.55568/t.v21i33.99-118

Volume (**21**) Issue (**33**)

Ramadhan 1446 AH March 2025 AD

CC BY NC

Abstract:

This study aims to analyze models of the sayings of Imam Hasan (peace be upon him), categorized as narratives and prose speeches that represent an aspect of the rich linguistic heritage full of rhetorical and artistic styles. The study is approached from the perspective of textual cohesion and its linguistic mechanisms, highlighting the most important textual features that distinguish the Imam's style and revealing the grammatical values within those sayings.

Keywords: Grammatical cohesion, Imam Hasan's Sayings, textual coherence

المقدِّمة:

أوَّل القول ومبدأه: إنَّ البحث في لغة النَّصِّ الإماميِّ بحث يحيلك إلى مسلمة واصفة لكلام سيِّد الأئمَّة وأمير البلاغة عليٍّ عليه السلام بأنَّه (كَلامٌ دونَ كَلَامِ الخَالِقِ، وفَوْقَ كَلامِ المَخْلُوقِيْنَ)، وهذا القول ينطبق على سائر الأئمَّة المعصومين عليهم السلام، والإمام الحسن المجتبى عليه السلام ربيب تلك الفصاحة والبلاغة في ذلك الأثر الموصوف؛ إذ تنماز شخصيَّته المباركة بالحضور الأعلى على المستوى اللُّغويِّ والدينيِّ والتاريخيِّ والثقافيِّ وغير ذلك، فما تركه من إرث معرفيٍّ يعدُّ مُغرًى علميًّا للدراسة والبحث على مختلف الدراسات والاتِّجاهات البحثيَّة؛ فالمرحلة التي شهدتها إمامته بعد استشهاد أبيه الإمام عليٍّ عليه السلام، كانت حافلة بالأحداث المجتمعيَّة والدِّينيَّة والسياسيَّة ونحوها، ممَّا تركت لنا تراثًا نصِّيًّا واسعًا من الخطب والأحاديث والمقولات التي تتَّسم بالغنى البلاغيِّ والثراء الأسلوبيِّ؛ لتشكِّل بمجملها مادَّة تستحقُّ الوقوف عندها، لتعزِّز دافعيَّة الباحث إلى قراءة نماذج من مقولاته قراءة نصِّيَّة، يناسب الجانب النظريُّ فيها الجانب الإجرائيَّ، واسمين البحث بـ(الاتِّساقُ النحويُّ في المقولاتِ الحسنيَّةِ دراسةٌ نصِّيَّةٌ تحليليَّةٌ)

فلماذا الاتِّساق النَّحويُّ؟ سؤال البحث ومفتاح المعنونة التي نلج إليها من منظور ما يعرف بالتماسك النَّصِّيِّ، ذلك المنظور العلميُّ الذي ينتمي إلى فرع اللِّسانيَّات النَّصِّيَّة، نظرا لما يضطلع به منهج هذه الدراسة من وسائل وآليَّات وأدوات لغويَّة، تقرأ النَّصَّ من محور الاتِّساق النَّحويِّ، ومرتكزاته التَّحليليَّة المتمثِّلة: بالإحالة، والحذف على وجه التحديد، وما يرتبط بهما من العناصر اللُّغويَّة التي تسهم بترابط أجزاء السلسلة الكلاميَّة بعضها مع بعض داخل النَّصِّ؛ لتحقِّق معناه الكُلِّيَّ وتكشف عن مزايا إنتاج النَّصِّ ومقاصده لدى المتلقِّي. ولا بدَّ من الإشارة إلى أنَّ هذا التحديد لتلك المرتكزات المشار إليهما، فرضته مادَّة البحث ومساحته ومقتضياته المنهجيَّة. ومن ثمَّ توظيف تلك المرتكزات في تحليل المقولات الحسنيَّة، وبيان مظاهر التماسك النَّصِّيِّ فيها، وتسليط الضوء على مكامن البناء اللُّغويِّ والدلاليِّ في تلك المقولات، ولا يمكن أن نغفل أنَّ أهمِّيَّة هذا البحث تأتي ممَّا تتميَّز به النصوص الإسلاميَّة عمومًا من علوِّ بلاغتها ورقيِّ الأساليب، وجزالة الألفاظ، لا سيَّما في تراث أهل البيت. والتراث الحسنيِّ على وجه التحديد، مع التركيز على كشف الوسائل والمرجعيَّات

التي أسهمت بالاتِّساق النحويِّ الذي أفضى إلى تحقيق التماسك النَّصِّيِّ وراء تلك المقولات.

. لذا آثر البحث أن تنتظم خطَّته على النحو الآتي:

خلاصة البحث باللُّغتين العربيَّة والإنجليزيَّة

- المقدَّمة
- التمهيد (مداخل ومفاهيم عامة)
- أوَّلًا: التماسك النَّصِّيِّ (المفهوم-الوظيفة)
- ثانيًا: الإمام الحسن عليه السلام (سيرته ومكانته العلميَّة)
- الإطار النظريِّ والإجرائيِّ (الاتِّساق النحويِّ في المقولات الحسنيَّة)
- أوَّلًا: الإحالة
- الضمائر
- أسماء الإشارة
- الأسماء الموصولة
- ثانيًا: الحذف
- الاتِّساق النَّحويِّ في الحذف الاسميّ
- الاتِّساق النَّحويِّ في الحذف الفعليِّ
- الخاتمة والنتائج

التمهيد

أوَّلًا: التماسك النَّصِّيّ (المفهوم-الوظيفة):

اعتنى اللُّغويُّون المحدَثون بمصطلح التماسك النَّصِّيّ بوصفه ينتمى إلى لسانيَّات النَّصِّ، الفضاء الأشمل للأبعاد والأسْيقة الثقافيَّة والبنيويَّة والدَّلاليَّة والتَّداوليَّة، متجاوزًا أنساق الجملة وحدودها اللَّفظيَّة ووحداتها التركيبيَّة، لتأدية المقاصد المطلوبة وراء أغراض النَّصِّ؛ إذ عرّفه مُحَمَّد خطابيّ بقوله: "التماسك النَّصِّيُّ يعني تماسك النَّصِّ عبر وسائط لغويَّة وظيفيَّة تجعل أجزاء النَّصِّ مترابطة بشكل يؤدِّي إلى تحقيق المعنى المطلوب"[١] وقريبًا من رؤية خطابيّ، ذهب عبد القادر الفاسيّ الفهريّ إلى أنَّ تحقُّق المعاني والمقاصد يحصل بوسائل وأدوات لغويَّة متعدِّدة: "التماسك النَّصِّيُّ هو الربط بين أجزاء النَّصِّ من خلال وسائل لغويَّة مثل الإحالة، التكرار، الوصل، والحذف".[٢]

فنفهم من ذلك أنَّ أهمِّيَّة التماسك النَّصِّيِّ تسهم في تمتين عُرى التلاحم اللُّغويِّ، وتحقيق الاتِّصال بين حلقات السلسلة اللُّغويَّة ووحداتها التركيبيَّة داخل النَّصِّ وأجزائه المرتبطة بعضها ببعض، حتَّى بلوغ كُلِّيَّة المعنى ومقاصديَّة الكلام، وذلك على وفق علاقات نحويَّة ودلاليَّة وسياقيَّة محدَّدة، تستظهرها وسائل وأدوات لغويَّة تجعل النَّصَّ أكثر سبكًا واتِّساقًا في البناء والتعبير، وهذا ما دأبت عليه آراء اللُّغويِّين، واتَّفقت عليه مقولاتهم العلميَّة. ينظر: [٣] [٤]

وفي ضوء تلك النصوص تتجلَّى لنا الوظائف والأبعاد التي يسهم فيها التماسك النَّصِّيُّ، ولعلَّ أبرزها: ينظر: [٥] [٦].

- تحقيق الانسجام والترابط بين أجزاء النَّصِّ
- إعانة المتلقِّي على فهم النَّصِّ وتتبع الأفكار المطروحة فيه
- تعزيز الانسجام الدلاليِّ، وتحقيق وحدة النَّصِّ

وغير ذلك من الوظائف النَّصِّيَّة التي ستتَّضح معالمها في الجانب الإجرائيِّ للدراسة إن شاء الله تعالى.

---

١ خطابي, محمد .لسانيات النص: مدخل إلى انسجام الخطاب, المجلد الأ الدار البيضاء: المركز العربي,(١٩٩١), ١١٢.
٢ الفهري, عبد القادر الفاسي. اللسانيات واللغة العربية: أفق آخر, المجلد الأ الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي, (١٩٩٣), ٤٥.
٣ البواب, علي. علم اللغة النصي، النظرية والتطبيق, المجلد الأول (القاهرة: مكتبة الشباب,(١٩٩٩), ٩٢.
٤ تمام, حسان. البيان في روائع القرآن, المجلد الثالث القاهرة: دار الثقافة,(٢٠٠٦), ١٢٠.
٥ البواب, علي. علم اللغة النصي، النظرية والتطبيق, ٩٣.
٦ صبحي إبراهيم الفقي, علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، دراسة تطبيقية على السور المكية, المجلد الأ القاهرة: دار القباء,(٢٠٠٠), ٩٣.

ثانيًا: الإمام الحسن عليه السلام (سيرته، ومكانته العلميَّة):

لعلَّ الحديث عن سيرة الإمام الحسن المجتبى عليه السلام حديث من يشرح الشمس ويفسِّر الماء فما أعجزه! فهو من هو، سليل بيت النبوَّة الأطهار، ومعدن بيت الوحي الرسالة، وسيِّد شباب أهل الجنَّة، بيد أنَّ اقتضاء المنهج العلميّ، ومتطلَّب البحث ومِهاده، يتطلَّبان المرور على سيرته المباركة ومكانته العلميَّة والدينيَّة، إذ وُلِد الإمام الحسن عليه السلام في النصف من شهر رمضان سنة ٣ هـ في المدينة المنوَّرة، عاش وتربَّى في كنف جدِّه رسول الله صلى الله عليه وآله؛ إذ اهتمَّ النبيُّ به اهتمامًا خاصًّا. وكان الإمام الحسن يتمتَّع بفطنة وذكاء منذ صغره، ممَّا أهَّله أن يرث العلم والقيادة الروحيَّة من جدِّه وأبيه عليهما السلام. ينظر: [٧]

اتَّسمت سيرته العلميَّة بالنبوغ والفطنة والتأثير، فعُدَّ أنموذجًا متفرِّدا يُقتدى به في العلم والكرم والزهد، وكان لنور جدِّه وأبيه عليهما السلام فيوضات روحيَّة ومعرفيَّة مباركة على شخصيَّته، شهد بها كبار الصحابة والتابعون؛ بوصفه إمامًا للعلم والحكمة. يعود الناس إليه في المسائل الدينيَّة وما يواجهون من ابتلاءات دنيويَّة، وقد روي عنه العديد من الروايات والأحاديث. ينظر: [٨].

وقد حظي تراث الإمام الحسن عليه السلام، و ما تركه من أحاديث وخطب دينيَّة باهتمام العلماء والمختصِّين ممَّن تصدُّوا لجمع آثاره ومقولاته، ولعلَّ من أبرز تلك الدراسات والمصادر، ترجمة الإمام الحسن عليه السلام "لابن عساكر، والإمام الحسن المجتبى عليه السلام، لجعفر العاملي، و"الإمام الحسن عليه السلام: دراسات ومواقف" لمُحَمَّد مهديّ شمس الدين وغيرها من الكتب المتناثرة في أمَّات المصادر الشيعيَّة كبحار الأنوار، والوسائل، والكافي وغيرها.

القسم الأوَّل: الاتِّساق النَّحويِّ في المقولات الحسنيَّة:

يُعدُّ الاتِّساق النحويِّ عنصرًا من عناصر التماسك النَّصِّيِّ، وسمة دلاليَّة تكشف عن الترابط بين الجمل أو الفقرات في النَّصِّ، ممَّا يحقِّق تضامًّا أو سبكًا للوحدات النَّصِّيَّة. وذلك باستعمال وسائل لغويَّة متعدِّدة كالإحالة، والحذف، والربط، والوصل، والاستبدال، وغيرها من الوسائل التي توصل بين عناصر النَّصِّ المختلفة التي عبَّر عنها (فان دايك) بقيود الربط والترابط التي تصل

٧ الحسني, هاشم معروف. سيرة الأئمة الاثني عشر بيروت-لبنان: دار التعارف, (١٩٧٩), ٢٥٠_٢٦٠.
٨ القرشي, شريف باقر. حياة الإمام الحسن عليه السلام بيروت-لبنان: مؤسسة الوفاء, (١٩٨٠), ٤٥_٥٠.

السلسلة الكلاميَّة؛ ممَّا يُحقِّق اتّساقًا نحويًّا بين الجمل داخل النص. ينظر: [٩]

أوَّلًا: الإحالة:

تمثِّل الإحالة وسيلة ربط تركيبيَّة مهمَّة لتحقيق الغرض المقاصديّ للنَّصِّ، تشحن أواصر البنيات اللُّغويَّة بطَاقاتٍ دلاليَّة ديناميكيَّة تحيل إلى علاقات إحاليَّة كبرى؛ لذا يعدُّ (الأزهر الزناد): "الربط الإحاليّ وسيلة لغويَّة مهمَّة من وسائل تحقيق التسلسل أو التتابع الخطِّيِّ للجمل على المستوى التركيبيِّ، وتؤكِّد الترابط المضمونيِّ بين دلالات القضايا في البنية الكبرى على المستوى الدلاليِّ؛ إذ يمكن من خلال هذه العناصر الإحاليَّة أن تتشكَّل شبكة من العلاقات الإحاليَّة بين العناصر المتباعدة في فضاء النَّصِّ، وتتضامّ الأجزاء المتباعدة، وتتآزر مع بعضها البعض" [١٠]

والإحالة تقع على ضربين: إحالة مقاميَّة خارجيَّة، وإحالة نصِّيَّة داخليَّة، والأولى تُعنى بالسِّياق المقاميِّ الذي يسهم بخلق النَّصِّ وإنتاجه، بإشارات غير لغويَّة، وتُستنبط من المواقف لا العبارات. ينظر: [١١] [١٢] [١٣].

ومن مقولات الإمام الحسن عليه السلام على هذا النوع من الإحالة: "هلاكُ المَرْءِ في ثلاثٍ: الكِبْر، والحِرْص، والحَسَد، فالكبرُ هَلاكُ الدِّينِ، وبِهِ لُعِنَ إبليسُ، والحِرْصُ عَدُوُّ النَّفسِ، وبِهِ خَرَجَ آدمُ من الجَنَّةِ، والحَسَدُ رائدُ السُّوءِ، ومِنْهُ قَتلَ قَابيلُ هَابيلَ"[١٤]

صاغ الإمام مقولته الوعظيَّة التَّحذيريَّة بإحكامٍ عالي السَّبك، مستعملًا ثلاث إحالات مقاميَّة، ربط فيها الدَّالَّ والمدلول بطريقةٍ استدلاليَّة منطقيَّة ذهنيَّة، تحمل المتلقِّي على الانتباه والتَّحذير، وهي ربط المدلول بالمصداق؛ إذ كان بإمكان الإمام أن يكتفي بذكر المُهلكات الثلاث: (الكبر، والحرص، والحسد) من دون الإشارة إلى الإحالات المقاميَّة؛ ليتحقَّق الغرض النَّصِّيُّ، لكنَّه ربط وأحال كلَّ صفة إلى قصَّة ومثل. فالكبر ربطه بقصَّة إبليس ورفضه السجود لآدم، ممَّا استوجب خروجه من

٩ تون فان دايك, علم النص: مدخل متداخل الاختصاصات, ترجمة. سعيد حسن بحيري القاهرة: دار القاهرة للكتاب, (٢٠٠١), ٧٣.
١٠ بحيري, سعيد حسن .ظواهر تركيبية في مقابسات أبي حيان التوحيدي. دراسة في العلاقة بين البنية والدلالة القاهرة: مكتبة الآداب, (٢٠٠٦), ٢٣٥.
١١ خطابي, لسانيات النص: مدخل إلى انسجام الخطاب, ١٧.
١٢ الزناد, الأزهر. نسيج النص: بحث فيما يكون به الملفوظ نصًّا (المجلد الأولى) (بيروت: المركز الثقافي العربي, ١٩٩٣), ١١٩.
١٣ روبرت دي بوجراند, والنص والخطاب والإجراء (المجلد الثانية), تحقيق. تمام حسان القاهرة: عالم الكتب,(٢٠٠٧), ٣٣٢.
١٤ محسن الأمين, أعيان الشيعة, تحرير. حسن الأمين بيروت-لبنان: دار التعارف للمطبوعات, (١٩٨٣), ٥٧٧.

الرحمة الإلهيَّة[١٥]، والحرص ربطه بالإحالة إلى قصَّة آدم وحواء، ووسوسة الاقتراب من الشجرة المنهيِّ عنها[١٦]، والحسد ربطه بقصَّة ابني آدم، وقتل قابيل لهابيل وهي قصَّة تهدف إلى إظهار نتائج الحسد والغضب، والتحذير من العواقب السيئة للعمل على أساس هذه المشاعر[١٧]؛ إذ نسج كلَّ ذلك ليحقِّق مضامين دلاليَّة كبرى، كي يتَّخذ المرء أعلى غاية الحذر من تلك المهالك. ليأتي المحال مرتبطًا دلاليًّا بالمحال إليه. كإحالة الأسماء إلى مسمَّياتها. ينظر:[١٨].

والثانية: إحالة داخليَّة ترتبط بالسياق وعلاقة العناصر اللُّغويَّة بعضها ببعض، وهي على نوعين: (قبليَّة) و(بعديَّة) ينظر:[١٩] وسنتمثَّل النوعين إجرائيًّا في المقولات والأحاديث الحسنيَّة.

تتعدَّد وسائل التماسك النَّصِّيِّ في الإحالة لا سيَّما البعديَّة منها، ولعلَّ أبرزها تمثُّلًا في أحاديث الإمام الحسن عليه السلام:

– الضمائر: تُعدُّ من أبرز وسائل الاتِّساق النَّحويِّ في التماسك النَّصِّيِّ؛ لما لها من أثر في ربط نسيج النَّصِّ، والتكنية عن الاسم الظاهر: "تنقسم الضمائر إلى وجوديَّة مثل: أنا، أنت، نحن، هو، هم، هن، ... وإلى ضمائر ملكيَّة مثل: كتابي، كتابك، كتابهم، كتابنا..." [٢٠].

فهذه الضمائر تكني عن المسمَّيات؛ أفعالًا كانت أو أسماء، وتعمل على رصِّ متن النَّصِّ بعضه ببعض، وتقوية أجزائه؛ لذا: "تكتسب أهمِّيَّتها بصفتها نائبة عن الأسماء والأفعال، والعبارات، والجمل المتتالية، فقد يحلُّ ضمير محلَّ كلمة أو عبارة أو جملة، أو عدَّة جمل، ولا تقف أهمِّيَّتها عند هذا الحدِّ، بل تتعدَّاه إلى كونها تربط بين أجزاء النَّصِّ المختلفة شكلًا ودلالة..."

ومن شواهد ورود الضمير في أحاديث الإمام الحسن عليه السلام: "سئل عن البخل؟ فقال: هو أن يرى الرجل ما أنفقه تلفًا، وما أمسكه شرفًا"[٢١]. إذ ورد أكثر من رابط إحالِيٍّ في النَّصِّ، منها الضمير (هو) والهاء في (ما أنفقه) و(أمسكه) فالضمير (هو) من الضمائر الغائبة التي وردت كناية عن الإحالة لمفهوم البخل، وجاء الضمير بمنزلة إحالة قبليَّة تهيِّئ المتلقِّي لسرد تعريفيٍّ يوضِّح

١٥ ابن كثير, تفسير ابن كثير بيروت: دار طوق النجاة, (١٤٢٢), ١٤٢.
١٦ الزمخشري, جار الله. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل بيروت: دار الكتب العلمية, (١٤٢٣هـ), ٢١٦.
١٧ الطاهر ابن عاشور, تفسير الطاهر بن عاشور تونس: دار تونس للنشر, (١٩٨٤), ٢٣٢_٢٣٣.
١٨ ج.ب.براون, تحليل الخطاب, ترجمة. محمد التريكي ومنير لطفي, السّعوديّة: جامعة الملك سعود, (١٩٩٧), ٣٦.
١٩ الزناد, نسيج النص: بحث فيما يكون به الملفوظ نصا (المجلد الأولى), ١١٨.
٢٠ خطابي, لسانيات النص: مدخل إلى انسجام الخطاب, ١٨.
٢١ الأمين, أعيان الشيعة, ٥٧٧.

ماهيَّة البخل، ومفهومه المرتبط عند النَّاس بتفسير نفسيٍّ يصوِّر الإنفاق والصرف هدرًا للمال، والإمساك وعدم الصرف منزلة شرفيَّة، والهاء في قوله (أنفقه) و(أمسكه) استعملت أداة ربط كلٍّ واحد منها للحالة عن (ما) الموصولة في التركيبين؛ اختزالًا واختصارًا في الوصف والاستعمال التركيبيِّ؛ لأنَّ الضمير يُعَدُّ عاملًا مهمًّا في اتِّساق النَّصِّ وبنائه النَّحويِّ. ينظر:[٢٢] لاسيَّما ضمائر الغيبة التي لها أثر مهمٌّ في التماسك النَّصِّيِّ ينظر:[٢٣]؛ إذ "للضمير سلطة كبيرة داخل النَّصِّ، لأنَّه يربط بين أجزائه شكلًا ودلالة، وله القدرة على استحضار الغائب ليكتمل المعنى، والربط بين عناصر عدَّة، ليتحقَّق الانسجام على المستوى اللُّغويِّ، الذي يقود لا محالة إلى الانسجام على المستوى الدلاليِّ"[٢٤].

ومن الروابط الإحاليَّة في النُّصوص الحسنيَّة، ما جاء في وصف الإمام عليه السلام لدرجة القرابة، ومعيارها الإنسانيِّ، قائلًا: "القريبُ من قرَّبته المودَّةُ وإن بعُدَ نسبُه، والبَعِيدُ من باعدْتُه المودَّةُ وإنْ قَرُبَ نسبُهُ، لا شَيْءَ أقربُ إلى شيءٍ من يدٍ إلى جَسَدٍ وإنَّ اليدَ تَغِلُّ فتَقْطَعُ، وتَقْطعُ فتَحْسِمُ"[٢٥].

ففي قوله:(قرَّبته)، و(باعدته) نلحظ أنَّ الضمير المتَّصل (الهاء) في الفعلين، العائدين على (القريب)، و(البعيد) وسيلة ربط نصِّيَّة، عضَّدت من تلاحم النسيج التركيبيِّ أكثر من كونها كناية إحالة، وإنَّما أسهمت ببناء النسق التعريفيِّ لكلمتي القريب والبعيد، وكذا الضمير في لفظة (نسبه) الواردة مرَّتين، بفعل الثنائيَّات الضِّدِّيَّة في السِّياق، ممَّا يُدلِّل على أثر الضمير البارز في ربط السلسلة الكلاميَّة لبناء هذا النَّصِّ ومفرداته كُلِّيًّا؛ إذ لو رفعت الضمائر منه لانفرط بناء النَّصِّ، واضطرب تماسكه: "فلكلِّ ضمير إحاليٍّ كيفما كان نوعه ووظيفته مَهمَّة كبيرة تَتَمَظْهَر في التعبير عن جملة من المعاني الَّتي سيقت سلفًا أو ستساق لاحقًا، بحيث يهدف إلى تحقيق جملة من الأغراض الَّتي يروم المتكلِّم عقدها ولو بطريقة غير مباشرة، أي من خلال توظيفه للعناصر الإشاريَّة الإحاليَّة المتعدِّدة والمتنوِّعة الَّتي تؤدِّي دورها في المتن بانسيابٍ تامٍّ، خلال انحدار الكلام المنسجم بسهولة سبك، وسلامة لغة، وعذوبة ألفاظ، إلى جانب تحقيق قاعدة الاقتصاد اللُّغويِّ الَّتي تميل إليها لغتنا العربيَّة"[٢٦].

---

٢٢ بحيري, ظواهر تركيبية في مقابسات أبي حيان التوحيدي. دراسة في العلاقة بين البنية والدلالة, ٢٣٦.
٢٣ خطابي, لسانيات النص: مدخل إلى انسجام الخطاب, ١٨.
٢٤ الراجي, حنان. "الإحالة الضميرية في النص الشعري الأدونيسي، ' قصائد إلى الموت' نموذجا," إشكالات في اللغة والأدب, ٢٠٢٣, ٧٦٣.
٢٥ الكليني, الكافي طهران: دار الكتب الإسلامية (١٣٦٥), ٦٤٣.
٢٦ عبد الوهاب بولنوار, "أثر الضمائر في تحقيق نصية النص," ألأفا للدراسات الإنسانية والعلمية المجلد ٢, عدد. ٥٥ (٢٠٢٣): ٥٥.

٢- أسماء الإشارة: يمثِّل وجود أسماء الإشارة في نسيج النَّصِّ عامل ربط إسناديٍّ، وضرورة من ضرورات الاتِّساق الإحاليِّ، قبليَّةً كانت الإحالةُ أم بعديَّةً، وبحسب النسق الإشاريِّ المستعمل، وأبعاده الدلاليَّة، كالإشاريَّات الظَّرفيَّة، والمكانيَّة، والانتقائيَّة، والإشارات من حيث القرب والبعد. ممَّا أشار إليها اللُّغويُّون في تصنيفاتهم لهذه الوسيلة اللُّغويَّة. ينظر:[٢٧]؛ لذا سنعمد لانتخاب نماذج تحليليَّة؛ لنقف عند الأبعاد الإشاريَّة في نصوص الإمام الحسن عليه السلام، ومنها قوله:

"إنَّ هذا القرآنَ فيه مَصَابِيْحُ النّورِ، وشِفَاءُ الصدورِ، فليجلْ جَالٍ بضَوئهِ، وليَلْجمْ الصّفةَ قَلبُهُ فإنَّ التَّفكيرَ حَياةُ قَلْبِ البَصِيرِ، كما يَمْشِي المُسْتَنِيرُ في الظُّلُمَاتِ بالنُّورِ"[٢٨]

أُستعمل اسم الإشارة (هذا) في النَّصِّ للإحالة البعديَّة، وفي ذلك ميزة دلاليَّة تُهيِّئ القارئ لاستقبال حدث لغويٍّ ذي بال واهتمام، لاسيَّما أنَّ الحديث جاء مشحونًا بطاقة توكيديَّة (إن هذا...) وكأنَّه جواب لسؤال مضمر: ما هذا الَّذي فيه مصابيح نور... وشفاء الصدور؟ يأتي الجواب (إنَّ هذا القرآن...)، فهنا أسهم الرابط الإشاريُّ في إحداث انتباهة قصديَّة لدى المتلقِّي؛ لبيان عِظَم ما سيُشار إليه، وهذا الاستخدام - كما تشير الدراسات اللُّغويَّة - يعزِّز الترابط بين أجزاء النَّصِّ. ويمهِّد ذهن القارئ إلى تلقِّي كلمات أو جمل أو عبارات ستذكر لاحقًا. ينظر:[٢٩]؛ لذا إنَّ "اسم الإشارة المفرد يتميَّز بما يسمِّيه البعض(الإحالة الموسَّعة) أي إمكانيَّة الإحالة إلى جملة بأكملها أو متتالية من الجمل"[٣٠]. وما لحظناه في النَّصِّ يؤكِّد تعداد الجمل التي تلت الإشارة إلى القرآن: فيه مصابيح نور، وشفاء الصدور... بما يعني انفتاح النَّصِّ على متواليات جُمَليَّة متعدِّدة.

ومن الإشاريَّات الزمانيَّة التي حقَّقت نوعًا من الإيقاع الصَّوتيِّ بين الحدود الكلاميَّة للنَّصِّ ما جاء في قوله عليه السلام: "واعمل لدنياك كأنَّك تعيش أبدًا، واعْملْ لآخرتك كأنَّك تموت غدًا"[٣١] فالإشاريَّتان (أبدًا) و(غدًا) بما تحملان من سَمْتٍ إيقاعيٍّ ومقاطعَ صوتيَّة متكافئة، تركا وقعًا صوتيًّا في التلقِّي السمعيِّ:

(أَ/ بَ/ دَا) (وَ/ غَ/ دَا)

٢٧ خطابي, لسانيات النص: مدخل إلى انسجام الخطاب, ١٩.
٢٨ الصافي ,عبدالرضا. بلاغة الحسن (المجلد الأولى)إيران: اعتماد إيران, (١٣٩٠), ١٤٦.
٢٩ مشري أمال, "الإحالة وأثرها في دلالة النص وتماسكه 'عيون البصائر' أنموذجا," جيل الدراسات الادبية والفكرية: ٢٠١٨:٧١.
٣٠ عابد بوهادي, "أثر النحو في تماسك النص" :المجلد ٤٠, العدد. ١ (٢٠١٣): ٥٩.
٣١ المقدسي, محمد باقر. بحار الأنوار بيروت-لبنان: مؤسسة الوفاء,(١٩٨٣), ١٣٩.

ممَّا يعزِّز بناء النَّصِّ بنحو لا يكاد الحديث تكتمل عناصر بنائه ومضمونه من دون وجودهما، فالاستغراق الزمنيُّ المتحقِّق بلفظة (أبدًا) أراد منه الإمام حثَّ الإنسان على الاستقامة، والانتظام الدنيويُّ، والتأسيس القويم، والعمل الصحيح، ما دام الإنسان في هذه الحياة "فَإِنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا عَلم أَنَّهُ يَطُول عُمْرُه أحْكَم مَا يَعمَلُه وحَرصَ عَلَى مَا يَكْسِبُه"[٣٢]

في حين نلحظ أنَّ الإمام عليه السلام بحُسْن نظمه، ودقَّة إتقانه للكلام ومقاصده، خصَّ لفظة (غدًا) للمستقبل القريب الموافق لحتميَّة الحياة الحقيقيَّة المرتبطة بمآلاته الأخرويَّة، وأنزل الإنسان منزلة العارف أو المطَّلع على موعد موته "فإِنَّ مَنْ يَعْلم أَنَّهُ يَمُوتُ غَدًا يُكْثر مِنْ عبَادَته ويُخْلِص فِي طاعتِه"[٣٣]. فبهذين الرابطين الإشاريَّين الدَّالَّين على الظَّرفيَّة، أحكم الإمام النَّصَّ إحكامًا لغويًّا عالي النظم والدلالة؛ مقاربًا على غير الاعتياد المألوف من استعمال الثنائيَّة الضِّدِّيَّة من لفظتي الدنيا والآخرة المحمولتين على قَطعيَّة الذم للأولى، والمدح للثانية، صائغًا منهما مفهومين متصالحين منسجمين متكاملين، يعزِّز ذلك المفهوم القرآنيَّ من العيش الدنيويِّ، والعمل الأخرويِّ ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾ (القصص: ٧٧).

٣- الأسماء الموصولة:

تؤدِّي موقعيَّة اسم الموصول في التراكيب والجمل وظيفة نحويَّة مهمَّة تربط بين جملتين أو عبارتين، سواءً تصدر الكلام، أو أحال إلى ما قبله؛ لذا يقول ابن هشام: "الاسم الموصول هو الَّذي يُستخدم للربط بين الجملتين، ويُستخدم لتوضيح العلاقة بينهما"[٣٤]. وهو من وسائل الإحالة المهمَّة، ورابط من روابط الاتِّساق النَّحويِّ. ينظر:[٣٥] (وقد حضر اسم الموصول في المقولات الحسنيَّة غير مرَّة. منها قوله: "المَعْرُوفُ مَا لَمْ يَتَقَدَّمْهُ مَطْلٌ، وَلَمْ يَتْبَعْهُ مَنٌّ"[٣٦]. فارتكز اسم الموصول (ما) في كلام الإمام عليه السلام، محيلًا إلى ما قبله من الكلام ليبيِّن مضمون (المعروف) ناصًّا على مفهومه ودلالته، وهذه ميزة ربط تُوصِل ما قبلها بما بعدها، بما يتعلَّق به من جملة الصِّلة الفعليَّة، ليحقَّق بذلك إحالتين، قَبْليَّة واصفة: تمهِّد للمفهوم أو الدلالة السابقة، وبَعْديَّة شارحة: تمثِّلها جملة الصلة (لم يتقدَّمه مطل...)

٣٢ ابن الأثير, النهاية في غريب الحديث والأثر, تحرير. محمود أحمد الطناحي و طاهر أحمد الزاوي بيروت: المكتبة العلمية,(١٩٧٩), ٣٥٩.
٣٣ الأثير, ٣٥٩.
٣٤ الأنصاري, ابن هشام. شرح شذور الذهب (المجلد الأولى)بيروت: دار الكتب العلمية,(٢٠٠١),٢٣٥.
٣٥ رمضان, نادية . علم لغة النص والأسلوب الإسكندرية: مؤسسة حورس الدولية,(٢٠١٣), ٣٢_٣٣.
٣٦ المقدسي, بحار الأنوار, ٧٥_١١٣.

الكاشفة عن تفاصيل المضمون، فوظيفته كما بيَّنها ابن هشام هي: "الربط بين الجملتين، وتوضيح العلاقة بينهما، سواء كانت علاقة سببيَّة، أو علاقة توضيحيَّة، أو علاقة استدراكيَّة"[٣٧].

ثانيًا: الحذف:

تحظى ظاهرة الحذف لدى علماء النَّصِّ باهتمامٍ علميٍّ واسع؛ لكونه يسهم في تحقيق التماسك النَّصِّيِّ، واتِّساق عناصره. ينظر:[٣٨]. ويسمَّى عندهم بـ(الاكتفاء بالمبنى العدميِّ)، أو(الإبدال من الصفر) ينظر:[٣٩] (المصدر السابق نفسه: ٣٣). وهو عندهم غير ما يراد منه عند النحويِّين العرب، من نحو الاستغناء عن تكرار العامل أو المعمول بالعطف أو نحوه، بل الحذف يساوي صفرًا بمعنى "هو استبعاد العبارات السَّطحيَّة التي يمكن لمحتواها المفهوميِّ أن يقوم في الذهن، أو أن يوسِّع أو أن يعدِّل بواسطة العبارات الناقصة"[٤٠].

والحذف يرد كثيرًا في سياقات الكلام وتراكيب النصوص، ويرد الحذف على أنماط، منها:

الاتِّساق النحويِّ في الحذف الاسميِّ:

ويقصد بالحذف هنا هو ما يقع داخل المركَّب الاسميِّ، اعتمادًا على سياق الكلام، و دلالة الحال، وفطنة المتلقِّي وحسِّه اللُّغويِّ. وخياله الإبداعيِّ، متحسِّسًا بواطن التعبير ومواطنها. ينظر:[٤١] فقد ورد الحذف الاسميِّ في جملة من أحاديث الإمام الحسن عليه السلام ، منها قوله: "رُفِعَ عن الصبيِّ الصيام حتَّى يحتلم"[٤٢]

يظهر في الحديث أنَّ ثمَّة حذفًا تخلَّل النَّصَّ يمكن تقديره بكلمة: (التكليف)، والتقدير: رُفِعَ التكليف عن الصبيِّ في الصيام حتَّى يحتلم، وهو حذف في ظاهره لفظيٌّ، يقع موقع الاسم المسند إلى مالم يسمَّ فاعله، وهو مفعول به على الأصل، غير أنَّه حذف مرتبط بالمعنى؛ اعتمادًا على ما يقتضيه فهم المتلقِّي، وذوقه اللُّغويِّ المتحقِّق من الفهم العامِّ للنَّصِّ، فقد جُرِّد النَّصُّ من اللَّفظ المؤدِّي معنًى أكثر منه حاجة إلى اللَّفظ. فالمعنى يُحتِّم الاستغناء؛ إذ يمكن القول: "إنَّ الجملة ذات الفعل المبنيِّ

٣٧ الأنصاري, شرح شذور الذهب (المجلد الأولى), ٢٣٤.
٣٨ الفقي, علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، دراسة تطبيقية على السور المكية, ١٩٢.
٣٩ الفقي, ٣٣.
٤٠ روبرت دي بوجراند, والنص والخطاب والإجراء (المجلد الثانية), ٣٠١.
٤١ أبوموسى, محمد محمد. خصائص التراكيب، دراسة تحليلية لعلم المعاني, المجلد الرابع (القاهرة: دار وهبة, ١٩٩٦), ١٥٣.
٤٢ الصدوق ابن بابويه القمي, من لا يحضره الفقيه طهران: دار الكتب الإسلامية, (١٤٠٤هـ),١٢٢.

للمجهول لا يكون فاعلها محذوفًا حذفًا تركيبيًّا؛ لأنَّ نائب الفاعل يقوم مقامه؛ بل يكون محذوفًا دلاليًّا؛ اعتمادًا على أنَّ الاختلاف بين الفاعل ونائبه ينحصر في الجانب الدلاليِّ"[٤٣].

ومن موارد الحذف في أحاديث الإمام الحسن عليه السلام، قوله: "إيَّاك وما تعتذر، فالعذر عارٌ على صاحبه، وإن كان صادقًا."[٤٤].

يظهر في النَّصِّ حذف المضاف، وإقامة المضاف إليه مقامه، ويمكن التقدير: إيَّاك وفعل ما تعتذر...، وهذا الحذف ممَّا ورد في القران الكريم، والاستعمال العربي قديمًا؛ إذ قد يحذف المضاف، ويحلُّ المضاف إليه محلَّه إعرابيًّا، منه ما جاء في قوله تعالى ﴿وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ﴾ (البقرة: ٩٣) والتقدير: حبَّ العِجْلِ. ينظر:[٤٥].

وفي النَّصِّ الحسنيِّ يظهر تحذير الإمام واضحًا، ممَّا لا ينبغي فعله تجنُّبًا للاعتذار، وما يتبعه من عار على مؤدِّيه، فاكتفى الإمام بالمضاف إليه (ما) الموصولة استغناء عن المضاف، وهذا الحذف يستهدف الإيجاز المؤثِّرَ والدَّالَّ؛ فضلًا عن أنَّه يترك للسامع تقدير المعنى، والاتِّساع فيه.[٤٦]

٢- الاتِّساق النَّحويُّ في الحذف الفعليِّ:

لا شكَّ أنَّ الفعل من أركان الجملة الأساسيَّة في التراكيب النَّحويَّة، وقد يحذف من الاستعمال جوازًا أو وجوبًا؛ لقرائن وأسباب حاليَّة أو مقاليَّة يقتضيها سياق الاستعمال. (صبحي، ٢٠١١ ص: ١٠٧) والحذف الفعليُّ يُعدُّ من الآليَّات اللُّغويَّة التي توظِّف للتعبير عن الأفكار بنحو لا يخلو من غرض مقاصدي للنُّصوص، يعمل على تقوية التماسك النَّصِّيِّ: "الحذف الفعليُّ يزيد من تماسك النَّصِّ ويجعلَه أكثر وضوحًا وسهولة في الفهم"[٤٧].

ومن النصوص الحسنيَّة التي حذف منها الفعل لمقاصد وأغراض دلاليَّة، ما جاء في خطبته بمعركة صفين: "إنَّا والله ما ثنانا عن أهلِ الشَّامِ شَكٌّ ولا نَدَمٌ، وإنَّما كُنَّا نقاتلُ أهلَ الشَّامِ بالسَّلامةِ، والصَّبرِ فشِيبت السَّلامةُ بالعداوةِ والصَّبرِ بالجزع"[٤٨].

---

٤٣ فايز صبحي, الحذف التركيبي وعلاقته بالنظم، والدلالة بين النظرية والتطبيق بيروت: دار الكتب العربي,(٢٠١١), ٦٠.
٤٤ الصدوق, كتاب "الخصال" م: ٣٤٥ طهران: دار الكتب الإسلامية, (١٩٨٣), ٣٤٥.
٤٥ ابن عقيل, عبد الله. شرح ابن عقيل, تحرير. محيي الدين عبد الحميد القاهرة: دار التراث, (١٩٨٠), ٣_٧٦.
٤٦ صبحي, الحذف التركيبي وعلاقته بالنظم، والدلالة بين النظرية والتطبيق, ٨٢.
٤٧ آل خليفة, محمد بن عبد الله .اللغة العربية: دراسة تحليلية," المجلد الأ دمشق: دار الفكر, (٢٠٠٨), ١٥٦.
٤٨ المقدسي, بحار الأنوار, ٢١_٤٤.

ورد الحذف الفعليُّ في سياق العطف بقوله: فَشِيبت السَّلامة بالعداوة، والصَّبر بالجزع، فقد حذف الفعل المبنيّ للمجهول (شيب) من الجملة الثانية: الصبر بالجزع، والتقدير: فَشِيبت السَّلامة بالعداوة، وشيب الصَّبر بالجزع؛ وهذا الحذف ممَّا هو جائز في الاستعمال يشعر به السِّياق، وتدعمه القرينة اللَّفظيَّة: "فالذكر قرينة لفظيَّة، والحذف إنَّما يكون بقرينة لفظيَّة أيضًا، ولا يكون تقدير المحذوف إلَّا بمعونة هذه القرينة، وأهم القرائن الدَّالَّة على المحذوف هي الاستلزام وسبق الذكر، وكلاهما من القرائن اللَّفظيَّة الداخلة"[٤٩].

هذه الخطبة أنشئت بعد استشهاد أمير المؤمنين عليه السلام، يكشف فيها الإمام الحسن عليه السلام سرائر أتباعه في حرب أهل الشام، فوجد أن مواقفهم قد شابها الخذلان والتثاقل، ممَّا لا يمكن أن يدفع بهم ثائرة جند الشام، فجنح إلى صلح معاوية، فعبَّر عن فساد حالهم وتناقضها، باستعمال الثُّنائيَّات الضِّدِّيَّة: (السلامة – العداوة) و(الصبر– الجزع)، متجاوزًا تكرار الفعل (شيب) في الجملة الثانية ليحقِّق بذلك قوَّة المعنى. وتماسك النَّصِّ؛ تساوقًا مع بنية الفعل المبني للمجهول المؤثِّثة لفكرة المعنى الكنائيِّ الإجماليِّ، والمعبَّرة عن تداخل نيّات الأتباع واضطرابها في تحديد مواقف النصرة للإمام، خلا ثلَّة من الأصحاب المخلصين، ممَّن لا يردُّون فتنة الشام، وقد عبَّر الإمام عن ذلك بصياغة لغويَّة بليغة ودقيقة.

ومن موارد الحذف الفعليِّ في النَّصِّ، قول الإمام الحسن عليه السلام محذِّرًا: "إيَّاك أن تمدحَني، فأنا أعلمُ بنفسي مِنْك، أو تُكذِّبَني، فإنَّه لا رأيَ لمكذوبٍ، أو تغتابَ عنْدي أحدًا، فقال لهُ الرجلُ: أتأذن لي في الانصراف، قال عليه السلام: نعم إذا شئتَ"[٥٠].

حذف الفعل جاء هنا وجوبًا، بنصب (إيَّاكَ) على التحذير، والتقدير: احذرْ مدحي، واحذرْ تكذيبي، واحذرْ الاغتياب، وعلَّل الرّضيَّ هذا النوع من الحذف بقوله: "وإنَّما وجب حذف العامل في نحو: إيَّاك والأسد؛ لأنَّه في معنى المكرَّر الذي ذكرنا يجب حذف عامله؛ لأنَّ معنى إيَّاك بعِّد نفسك من الأسد، وفحوى هذا الكلام: احذر الأسد"[٥١].

٤٩ تمام, االبيان في روائع القرآن, ٢١٢.
٥٠ الحراني, ابن شعبة .تحف العقول طهران: دار الكتب الإسلامية,(١٣٦٣), ١٠٧.
٥١ الاستراباذي, رضي الدين. شرح الكافية بيروت–لبنان: دار الكتب العلمية – منشورات محمد علي بيضون, (١٩٩٨), ٢_٦.

ويبدو أنَّ ما في (إيَّاكَ) من تحذير، جعلهم يستغنون عن ذكر الفعل. ينظر:[٥٢]. وهذا الاستغناء يُعدُّ سمة لغويَّة مسهمة في تقوية بناء النَّصِّ وتماسك أجزائه، فعلى الرغم من أنَّ الفعل حذف وجوبًا، نلحظ أنَّ أثره بقي موجودًا في الوحدات التركيبيَّة المتعلِّقة به، كما يذهب إلى ذلك الدكتور سعيد بحيري[٥٣]. فنزل الضمير (إيَّاك) منزلة الفعل احذر، أداء وقوَّة، فالاستغناء والإبدال حقَّقا تماسكًا دلاليًّا مؤكَّدًا، أغنى عن التكرار، وناسبت قوَّته المعمول المَحاوِرَ: (المدح- الكذب- الغيبة).

ومن موارد الحذف الفعليِّ في النصوص الحسنيَّة؛ اعتناء بالمعنى، واتِّكاء على قرينة السِّياق، قولُه: "أمَّا بعد: أيُّها النَّاسُ فإنَّ اللهَ هداكُم بأوَّلِنا، وحَقَنَ دماءَكم بآخرِنا"[٥٤]. يتراءى أمام المتلقِّي، وهو يطالع مفتتح الخطبة، حذفٌ، يقوله المعنى، ويضمره السياق تحت مبنى اللَّفظ الاستهلاليِّ، بخطابٍ تنبيهيٍّ يسترعي الأهمِّيَّةَ (أيُّها النَّاسُ) يُستتر فيه فعلٌ توجيهيٌّ، يمكن تقديره: أمَّا ... (فاعلموا) أنَّ الله هداكم بأوَّلنا، وحقن دماءكم بآخرنا. وهذا الحذف أكثر وفاقًا مع بلاغة منشئ الخطاب، وكفايته اللُّغويَّة التي تستهدف بناءً نصِّيًّا أكثرَ سبكًا وتماسكًا؛ ممَّا يجعل النَّصَّ أكثر وقعًا وتأثيرًا، وسلاسة لغويَّة دون التأثير على الفهم. لذلك نستشفُّ من كلام الجرجانيِّ ما يدعم فكرة الحذف لتحقيق فائدة؛ إذ يرى أنَّ "ترك الذكر أفصح من الذكر، والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة، وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق، وأتمُّ ما تكون بيانًا إذا لم تبنِ"[٥٥].

وهذه دواعٍ يتغيَّاها منشئ الخطاب، وتستدعيها ظروف القول، ممَّا يجعل النَّصَّ أكثر تماسكًا وقوَّة في التعبير.

ومن الموارد التي تستدعي الحذف الفعليَّ في سياق النَّصِّ، الدَّلالة التركيبيَّة للكلام التي تُعوِّل على فهم المتلقِّي، والتنبُّه لما يحيله فهم النَّصِّ؛ إذ يقول الإمامعليه السلام في الخطبة نفسها :"وإنّ لهذا الأمرِ مدَّةً، والدُّنيا دولٌ"[٥٦].

إنَّ البنية التحليليَّة للنَّصِّ تكشف عن حذف لفعل، أدَّته الجملة من دون الحاجة إلى النَّصِّ

٥٢ الإشبيلي, ابن عصفور. شرح جمل للزجاجي (المجلد الأولى (بيروت-لبنان: دار الكتب العلمية منشورات محمد علي بيضون, (١٩٩٨), ٢_٥٧٣.

٥٣ بحيري, سعيد. عناصر النظرية النحوية في كتاب سيبويه، الأنجلو المصرية, المجلد الأول (القاهرة: الإنجلو المصري, (١٩٨٩), ٢٦٦.

٥٤ الموسوي, مصطفى. الروائع المختارة من خطب الإمام الحسن عليه السلام طهران: دار المعلم للطباعة, (١٨٧٥), ٢٩١.

٥٥ الجرجاني, عبد القاهر .دلائل الإعجاز, تحرير. عبد السلام محمد (بيروت: دار الكتب العلمية, (١٤٢٦هـ), ١٢١.

٥٦ الموسوي, الروائع المختارة من خطب الإمام الحسن عليه السلام, ٩٢.

عليه أو ذكره، إذ يمكن تقدير قول الإمام عليه السلام: وإنَّ لهذا الأمر مدَّة أي محدَّدة (تنتهي)، والدنيا دول أي (تتغيَّر وتتبدَّل)، فلفظة (مدَّة) بدلالتها استغنت عن ذكر فعل قاله السياق، وكذلك لفظة (دول) التي تشير إلى مضمون فعليٍّ جعل الجملة أكثر عموميَّة، وأكسبها شموليَّة تتناسب مع المقام السياقيِّ والاجتماعيِّ للخطبة، وليس ذا الحذف بالغريب أو المتكلَّف، فالعرب قد تحذف ذلك لدواعٍ نفسيَّة حاكمة على المتلقِّي، كما تقارب هذه الرؤية لرأي ابن جنِّي: "لأنَّهم قد يستعملون من الكلام، ما غيره أثبت في نفوسهم منه؛ سعةً في التفسُّح وإرخاءً للتنفُّس، وشحًّا على ما جشموه فتواضعوه، أن يتكارهوه، فبلغوه، ويطرحوه، فاعرف ذلك مذهبًا لهم، ولا تطعن عليهم متى ورد شيء منه".

فالألفاظ كما يقول ابن يعيش: "إنَّما جيء بها للدلالة على المعنى، فإذا فهم المعنى بدون اللَّفظ جاز ألَّا تأتي به، ويكون مرادًا حكمًا وتقديرًا"[٥٧]. وهذا يوافق الحجَّة من حذف الفعلين من نصِّ الخطبة. ففهم المعنى شرط الحذف ومسوِّغ من مسوِّغات الاستغناء عنه.

٥٧ ابن يعيش, شرح ابن يعيش بيروت: دار الكتب العلمية, (١٤٢٢هـ), ٦٤.

الخاتمة والنتائج:

أوَّل المحصِّلة: إنَّ استهداف أي مشروع بحثيٍّ مادَّته العلميَّة مستقاة من نصوص أهل البيت عليهم السلام، يجعلك بإزاء نصٍّ يحوز الرتبة الثانية بعد القرآن الكريم، إحكامًا وبناءً ولغةً ومعنًى وسبكًا، فهو- كما أشرنا في المقدِّمة: (كلام دون كلام الخالق وفوق كلام المخلوقين) أوَ ليست وصيَّة الثقلين تختزل هذا المقصود؟! (كتاب الله وعترتي)! لذا تجري الدراسات بإزاء نصوص العترة نسقًا من الإحياء العلميِّ المقدَّم على كلِّ نصٍّ بشريٍّ، يسبر به الباحثون أغوار الحكمة، وبعد المقصود في سنا بلاغات الأوصياء، ولعلَّ الإمام الحسن عليه السلام الفرع الأسنى بلاغة وجزالة بين الأئمَّة المعصومين، فالبحث أظهر جانبًا من اتِّساق مقولات الإمام عليه السلام، على اختلاف أشكالها وقوالبها النثريَّة، كالخطب والحكم والمواعظ، والنصوص الفقهيَّة ونحوها، ويمكن إيجاز نتائج البحث على وفق آليَّة الدراسة المتَّبعة بنقاط:

وافقت نصوص الإمام الحسن عليه السلام وسائل التماسك النَّصِّيِّ، وآليَّاته من حيث تحقُّق الانسجام والترابط بين الوحدات التركيبيَّة لمقولاته ونصوصه المباركة.

انفتحت المقولات الحسنيَّة على آفاق التلقِّي الرحب في التماس وجوه المعنى ومقاصد المنشئ للخطاب بما يحقِّق المغزى النَّصِّيَّ.

ظهور نسق الإحالة المقاميَّة في المقولات الحسنيَّة، ولا سيَّما في نصِّ التحذير من المهلكات الثلاثة: (الكبر والحرص والحسد) وربطها بحوادث مرجعيَّة كونيَّة تخصُّ قصَّة آدم وأبنيه، وتعالي إبليس، للمبالغة والتشديد في النهي؛ تجنُّبًا للوقوع في هذه المسالك.

أظهر البحث أثر الضمير المتَّصل في التماسك النَّصِّيِّ، ولا سيَّما في مقولة الإمام عليه السلام "القريبُ من قرَّبته المودَّةُ وإن بَعُدَ نسبُه، والبَعِيدُ من باعدتْهُ المودَّةُ" وكيف استطاع التوظيف الدقيق للضمير المتَّصل شَدّ أزر النَّصِّ بإحالة قبليَّة وبعديَّة في الآن نفسه، وزَّع فيها الضميرُ التلقِّي إلى ما قبل الضمير وما بعده باهتمام صياغيٍّ من الربط الإحاليِّ المحكم.

أظهر البحث براعة التوظيف النَّصِّيِّ للإشاريَّات الزمنيَّة (أبدًا – غدًا) في حديث(اعمل لدنياك...) من حيث الانسجام الصوتيِّ والمواءمة البنائيَّة تركيبًا ودلالة بنحو يظهر دقَّة إنشاء المقولة وإخراجها النَّصِّيِّ البليغ.

الإحالة الموصوليَّة انمازت في المقولات الحسنيَّة بأنَّها تمثِّل النمط الآخر في صياغة التعريف المفهويِّ، حين تعرَّض لإيضاح دلالة المعروف، بقوله: المعروف ما لم يتقدَّمه.... بدلًا من استعمال الضمير هو، رابطًا المضمون بما قبله وما بعده.

يخلص البحث في خاصيَّة الحذف الفعليِّ والاسميِّ إلى إجادة نصِّيَّة غاية في الدِّقَّة، استعملها الإمام عليه السلام في عدد من النصوص، ظهرت فيها براعة الصياغة وانتظامها؛ سواءٌ في الحذف الاسميِّ أو الحذف الفعليِّ، فالقارئ للنصوص، آنفة التحليل والذكر، يلحظ حذفًا أشبه بذكر، يقال بالمعنى أكثر من اللفظ، معوِّلًا فيه على فهم المتلقِّي وذائقته، واستجابته الواعية للمقاصد: إيَّاكَ وما تعتذر: إيَّاك وفعلُ ما تعتذر، رُفِعَ عن الصبيّ الصيام: رفع التكليف عن الصبي في الصيام، إيَّاك أن تمدحني: أحذرك أن... وتلك ميزة سبك، وحسن نظم، منحا المقولات الحسنيَّة اتِّساقًا نحويًّا تشي بهُويَّة منشئ الخطاب.

وفي الختام نسأل الله تعالى أن يوفِّقنا ويجعلنا ممَّن يُكتب لهم شرف البحث وإدامته، وإحياؤه في تراث أهل البيت عليهم السلام.

المصادر

القرآن الكريم:

آل خليفة, مُحَمَّد بن عبد الله. "اللغة العربية: دراسة تحليلية. المجلد الأول. دمشق: دار الفكر,٢٠٠٨.

أبوموسى,مُحَمَّد مُحَمَّد. خصائص التراكيب، دراسة تحليلية لعلم المعاني. المجلد الر. القاهرة: دار وهبة,١٩٩٦.

آمال,مشري. "الإحالة وأثرها في دلالة النص وتماسكه 'عيون البصائر' أنموذجا." جيل الدراسات الأدبية والفكرية,٢٠١٨, ٧١.

ابن عاشور, الطاهر. تفسير الطاهر بن عاشور. تونس: دار تونس للنشر, ١٩٨٤.

ابن عقيل, عبد الله. شرح ابن عقيل. تحرير محيي الدين عبد الحميد. القاهرة: دار التراث, ١٩٨٠.

ابن كثير. تفسير ابن كثير. بيروت: دار طوق النجاة, ١٤٢٢هـ.

ابن يعيش. شرح ابن يعيش. بيروت: دار الكتب العلمية, ١٤٢٢هـ.

الأثير, ابن. النهاية في غريب الحديث والأثر. تحرير محمود أحمد الطناحي وطاهر أحمد الزاوي. بيروت: المكتبة العلمية, ١٩٧٩.

الأمين, محسن. أعيان الشيعة.تحرير حسن الأمين. بيروت-لبنان: دار التعارف للمطبوعات, ١٩٨٣.

الأنصاري, ابن هشام. شرح شذور الذهب (المجلد الأولى). بيروت: دار الكتب العلمية,٢٠٠١.

الإشبيلي, ابن عصفور. شرح جمل للزجاجي (المجلد الأولى). بيروت-لبنان: دار الكتب العلمية منشورات مُحَمَّد علي بيضون, ١٩٩٨.

الإستراباذي, رضي الدين. شرح الكافية. بيروت-لبنان: دار الكتب العلمية-منشورات مُحَمَّد علي بيضون, ١٩٩٨.

البواب, علي. علم اللغة النصي، النظرية والتطبيق. المجلد الأول. القاهرة: مكتبة الشباب, ١٩٩٩.

الجرجاني, عبد القاهر. دلائل الإعجاز. تحرير عبد السلام مُحَمَّد. بيروت: دار الكتب العلمية, ١٤٢٦هـ.

الحراني, ابن شعبة. تحف العقول. طهران: دار الكتب الإسلامية, ١٣٦٣هـ.

الحسني, هاشم معروف. سيرة الأئمة الاثني عشر. بيروت-لبنان: دار التعارف, ١٩٧٩.

الراجي, حنان. "الإحالة الضميرية في النص الشعري الأدونيسي، 'قصائد إلى الموت' نموذجا." إشكالات في اللغة والأدب, ٢٠٢٣.

الزمخشري, جار الله. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل. بيروت: دار الكتب العلمية, ١٤٢٣هـ.

الزناد, الأزهر. نسيج النص: بحث فيما يكون به الملفوظ نصا (المجلد الأولى). بيروت: المركز الثقافي العربي, ١٩٩٣.

الصافي, عبدالرضا. بلاغة الحسن (المجلد الأولى). إيران: اعتماد إيران, ١٣٩٠.

الصدوق. كتاب "الخصال" م: ٣٤٥. طهران: دار الكتب الإسلامية, ١٩٨٣.

الفقي, صبحي إبراهيم. علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، دراسة تطبيقية على السور المكية. المجلد الأ. القاهرة: دار القباء, ٢٠٠٠.

الفهري, عبد القادر الفاسي. اللسانيات واللغة العربية: أفق آخر. المجلد الأ. الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي, ١٩٩٣.

القرشي, شريف باقر. حياة الإمام الحسن عليه السلام. بيروت-لبنان: مؤسسة الوفاء, ١٩٨٠.

القمي, الصدوق ابن بابويه. من لا يحضره الفقيه. طهران: دار الكتب الإسلامية, ١٤٠٤هـ.

الكليني. الكافي. طهران: دار الكتب الإسلامية, ١٣٦٥هـ.

المقدسي, مُحَمَّد باقر. بحار الأنوار. بيروت-لبنان: مؤسسة الوفاء, ١٩٨٣.

الموسوي, مصطفى. الروائع المختارة من خطب الإمام الحسن عليه السلام. طهران: دار المعلم للطباعة, ١٨٧٥.

بحيري, سعيد. عناصر النظرية النحوية في كتاب سيبويه، الأنجلو المصرية. المجلد الأ. القاهرة: الإنجلو المصرية, ١٩٨٩.

بحيري, سعيد حسن. ظواهر تركيبية في مقابسات أبي حيان التوحيدي. دراسة في العلاقة بين البنية والدلالة. القاهرة: مكتبة الآداب, ٢٠٠٦.

بولنوار, عبد الوهاب. "أثر الضمائر في تحقيق نصية النص." ألأفا للدراسات الإنسانية والعلمية المجلد٢, العدد ٥٥ (٢٠٢٣).

بوهادي, عابد. "أثر النحو في تماسك النص" المجلد٤٠,العدد١. (٢٠١٣).

تمام, حسان. البيان في روائع القرآن. المجلد الثالث. القاهرة: دار الثقافة, ٢٠٠٦.

تون فان دايك. علم النص: مدخل متداخل الاختصاصات.ترجمة سعيد حسن بحيري. القاهرة: دار القاهرة للكتاب, ٢٠٠١.

ج.ب.براون. تحليل الخطاب. ترجمة ومنير لطفي, مُحَمَّد، التريكي. السّعوديّة: جامعة الملك سعود, ١٩٩٧.

خطابي, مُحَمَّد. لسانيات النص: مدخل إلى انسجام الخطاب. المجلد الأ. الدار البيضاء: المركز العربي, ١٩٩١.

رمضان,نادية. علم لغة النص والأسلوب. الإسكندرية: مؤسسة حورس الدولية, ٢٠١٣.

روبرت دي بوجراند. والنص والخطاب والإجراء (المجلد الثانية).ترجمة. تمام حسان. القاهرة: عالم الكتب, ٢٠٠٧.

صبحي,فايز. الحذف التركيبي وعلاقته بالنظم، والدلالة بين النظرية والتطبيق. بيروت: دار الكتب العربي, ٢٠١١.